الزلازل

ملخص الخطبة

١– المصائب منها ما هو عقوبة ومنها ما هو بلاء. ٢– فوائد البلاء للعبد المؤمن. ٣– الزلازل سنن كونية يقدرها الله متى شاء. ٤– الزلازل عقوبة إلهية لمعاصي البشر. ٥– الزلزال الأكبر يوم القيامة.

الخطبة الأولى

أما بعد:

فإن المصائب من سنة الله تعالى في الكون، وكل إنسان لابد أن يصاب بشيء منها، يقول الله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾، ويقول: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾، والمصائب ليست بالضرورة للانتقام والإهانة، قال الله تعالى: ﴿وأما إذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ۞ كلا..﴾ وإنما هي امتحان له حكم كثيرة، ومن أهم هذه الحكم:

١ – إقامة الحجة، لأن الله سبحانه لايحاسب الإنسان إلا على ماقدم من نية أو قول أو عمل بعد أن بين الله له ما يجب عليه وما يستحب، ولو أن الله خلق الناس دون أن يدخلهم الامتحان في هذه الحياة، وقال لفئة منهم: أدخلوا النار لقالوا ياربنا أعطنا فرصة، مرنا بما شئت وسنفعل كل ما تأمرنا به، وإن لم يعطوا هذه الفرصة فسيشعرون بأنهم ظلموا، فأراد الله أن يعطيهم هذه الفرصة لإقامة الحجة عليهم، ومع ذلك يقسم المشركون يوم القيامة أنهم ما أشركوا، يقول الله: ﴿قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: ((من مخاطبة العبد ربه، يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيز (أي لا أقبل) على نفسي إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه فيقال لأركانه: أنطقي، فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لك وسحقاً، فعنكن كنت أناضل)) وهو معنى قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ وقوله تعالى: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ۞ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾، فكل هذا الإنكار بعد أن أشركوا وعصوا وشهدت عليهم جوارحهم، فكيف لو لم يعطوا هذه الفرصة؟

أيها الإخوة المؤمنون: ومن حكم هذه الإبتلاءات والمصائب: التمحيص، فالشدائد تكشف حقائق الناس وتميز الطيب من الخبيث، والصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وفي ذلك فائدة عظيمة للمجتمع الإسلامي، يقول الله سبحانه وتعالى في الآيات التي تتحدث عن غزوة أحد وما نال المسلمين فيها، مبيناً جانباً من الحكمة في هذا الإبتلاء: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ كما أن الشدائد تميز للإنسان الأصدقاء الحقيقيين

من أصدقاء المصلحة كما قال الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير　　　وإن كانت تغصصني بريقي

وما شكري لها إلا لأني　　　عرفت بها عدوي من صديقي

ومن حكم المصائب: تكفير الذنوب والسيئات، فقد يختار الله تعالى للإنسان أن يعاقب بذنبه في الدنيا وأن لا يؤجل له إلى الآخرة، ولا شك أن عذاب الدنيا مهما عظم فهو أخف من عذاب الآخرة مهما صغر، قال تعالى: ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعملون﴾ والرسول يقول: ((ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)).

ومن فوائد وحكم هذه الابتلاءات: رفع الدرجات كما في بلاء الأنبياء وغيرهم من الصالحين الذين إذا ابتلاهم الله صبروا، فترتفع بالصبر درجاتهم عند الله سبحانه وتعالى يقول الرسول ﷺ: ((ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة)).

ومن فوائد المصائب أيها الإخوة: التذكير بنعم الله تعالى على الإنسان، لأن الإنسان الذي خلق مبصراً – مثلاً – ينسى نعمة البصر ولايقدرها حق قدرها، فإن ابتلاه الله بعمى مؤقت ثم عاد إليه بصره أحس بكل مشاعره بقيمة هذه النعمة، فدوام النعم قد ينسي الإنسان هذه النعم فلا يشكرها، فيقبضها الله ثم يعيدها إليه تذكيراً له بها ليشكرها.

بل إن في المصائب تذكيراً للإنسان ولغيره بنعم الله، فإذا رأى الإنسان مجنوناً أحس بنعمة العقل، وإن رأى مريضاً أحس بالصحة، وإن رأى كافراً يعيش كالأنعام أحس بنعمة الإيمان وإن رأى جاهلاً أحس بنعمة العلم، هكذا يشعر من كان له قلب متفتح يقظ، أما الذين لا قلوب لهم فلا يشكرون نعم الله بل يبطرون، ويتكبرون على خلق الله.

ومن حكم المصائب عدم الركون إلى الدنيا، فلو خلت الدنيا من المصائب لأحبها الإنسان أكثر ولركن إليها وغفل عن الآخرة، ولكن المصائب توقظه من غفلته وتجعله يعمل لدار لامصائب فيها ولا ابتلاءات.

ومن حكمها: صقل شخصية المؤمن، فالمصائب تصقل الشخصية وتقويها، ولذلك لم يكن عبثاً أن اختار الله لنبيه أن يكون يتيماً، وأما الأطفال المدللون كما نرى في واقع الحياة – فغالباُ ما تفسد شخصياتهم وتتميع، فالابتلاءات كالدورات التدريبية القاسية التي تبرز الطاقات وتنميها.

ومن أعظم حكم المصائب والابتلاءات: التنبيه والتحذير عن التقصير في بعض الأمور ليتدارك الإنسان ما قصد فيه، وهذا كالإنذار الذي يصدر إلى الموظف أو الطالب المقصر، والهدف منه تدارك التقصير، فإن فعل بها ونعمت، وإلا فإنه يستحق العقاب، ولعل من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ۝فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون﴾ .

ومن الحكم المترتبة على سابقتها – أيها المؤمنون – الإهلاك عقاباً لمن جاءته النذر، ولكنه لم يستفد منها ولم يغير من سلوكه، واستمر على ذنوبه قال تعالى: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾، نسأل الله أن يرزقنا الصبر عند المصائب وحسن الإستفادة منها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وللمسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نزل عليه قوله تعالى: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، شهادة تحول بيننا وبين الفساد، وتدفعنا إلى إصلاح شئون البلاد والعباد، وتكون ذخيرة لنا يوم المعاد، يوم الفزع الأكبر، يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد:

فإن لله سبحانه وتعالى سنن ثابتة معروفة مستقرة، ومنها أن الأرض مستقرة وفيها قرار يعيش عليها بنو البشر ويعمر فيها، فالله هوالذي وضع الجبال لتثبيت الأرض ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾، ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾، ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾، والله القدير هو سبحانه القادر على أن يغير هذه السنة متى شاء وكيف شاء، فقدرة الله لا يحدها حد، ولا يقف أمامها سد، أوليس الذي وضع هذه السنة هو القادر على تبديلها وتغييرها؟

وهذه هي آيات القرآن تترى وتحكي لنا كيف خسف الله بأقوام أرتجت بهم الأرض رجت ودكت بها دكاً، فلماذا نحن في غفلة عن آيات الله في الكون، وحتى متى؟ ألم يذكرها لنا القرآن؟ أذكرت لمجرد التسلية أم للعبرة والعظة، فهذه سورة القصص تحكي لنا ماذا حل بقارون بعد أن كذب الآيات وطغى في الأرض، وتحدثنا الآيات عن أنواع العذاب الذي أصاب الأمم من قبل: ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾ ويحذرنا الله تحذيراً واضحاً: ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾.

وإذا بالآيات تتحقق في حياتنا نظراً لكثرة المكذبين، وإذا بوعد الله يتحقق، وإذا بأرض الكنانة (مصر) يعتريها زلزال وبعده

آخر ويعقبه ثالث، إذا بجزء من وطننا الإسلامي الكبير تصيبه هزة أرضية، وبعد سنوات طويلة من الثبات إذا بالأرض تهتز وإذ بالناس يترنحون ويتأرجحون، والأرض من تحتهم تهتز وتمور، إذا العمائر تتساقط ولا يحتمي أحد من قدر الله، وإذا الناس يهرعون إلى الطرقات بعد أن كانوا يحتمون بالبيوتات وإذا مئات الضحايا تتساقط والآلاف الجرحى تئن وتتوجع، وآخرون تحت الأنقاض، الله أعلم بحالهم.

وهي هزة في طبقة القشرة الأرضية؟ ودرجة محددة لقوة الزلزال على مقياس رصد الزلازل؟ والله ثم والله إنها – حقيقة – هزة للقلوب الغافلة، وصيحة قوية مزلزلة، فكم صدر تجار الرذيلة واللحوم البشرية هناك للناس من الفساد والرقيق الأبيض في صورة فنون جميلة وإعلام هابط، وأفلام متردية، إن الله يمهل ولا يهمل.

إن في ذلك لآية لأهل الربا ولأهل المنكرات ولمن يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى لو كان لهم قلوب، ولنا أن تساءل: لماذا لم يستطع العلماء رصد الزلزال رغم تقدم الأجهزة العلمية وتطورات التقنيات الحديثة؟ أهو لضعف التقنيات في هذا البلد وعدم توافر الأجهزة الحساسة؟ ولماذا أصابت الأعاصير المدمرة والفيضانات المغرقة أكثر الدول تقدماً كأمريكا وغيرها؟ إن من أعظم الحكم أمثال هذه الزلازل الدنيوية، تذكرنا بزلزال يوم القيام الأكبر: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها ۝ وأخرجت الأرض أثقالها ۝وقال الإنسان مالها ۝يومئذ تحدث أخبارها ۝بأن ربك أوحى لها ۝يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالها ۝فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ۝ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾، سورة ما أكثر ما نقرؤها في صلواتنا ونوافلنا ما أقل ما نتدبر فيها، الزلزال الحقيقي العظيم وتخرج الأرض ما فيها من بشر ومعادن وغيرها ويسأل الله الإنسان ما الذي حدث؟ فتحدث بأن الله أوحى لها أمرها .. أليس هو الذي خلقها؟ فإذا أمرها أطاعت مباشرة، فيخرج الناس أفواجاً وجماعات ليأخذوا صحائف أعمالهم إما باليمين وإما بالشمال، فيرى الجليل والدقيق حتى مثقال الذرة، والتي كان يضرب لها الأمثال في السابق بالبعوضة أو الحبة وإذا بالعلم الحديث يكشفلنا ذرات ودقائق أصغر كلها يراها الإنسان معروضة أمامه، وفي هذا ذكرى للقلب الذي يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر. وفي الأرض قلوب لا تتحرك للجبل من الذنوب والمعاصي والجرائم، ولا تتأثر وهي تسحق رواسي من الخير دونها رواسي الجبال، إنها قلوب تعلقت في الأرض، مسحوقة تحت أثقالها تلك في يوم الحساب.

اللهم يا ربنا يا من خلقتنا ورزقتنا وأحسنت إلينا يا أمان الخائفين .. يا رب العالمين.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم اجعلنا ممن يأخذون صحائف الأعمال باليمين في يوم الزلزال الأعظم، اللهم يا رحمن يا رحيم كن لعبادك المستضعفين في كل مكان، يا ربنا .. مَن للمستضعفين من ضحايا الزلزال يا ربنا من لمن ظلوا تحت الأنقاض، يا ربنا مَن للجرحى والمتألمين، يا ربنا من لمن تيتم أو ترمل، يا ربنا من لمن فقد العائل أو السكن والمال، يا ربنا أرحم ضعف إخواننا، وأنصر المجاهدين في سبيلك في يوغسلافيا وفي أفغانستان والفلبين، وفي إريتريا وفلسطين، وفي كشمير وبورما وجميع أوطان المسلمين، الله أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك الكريم وسنة نبيك الأمين، اللهم ول على المسلمين خيارهم وانزعها اللهم من شرارهم.

ملخص الخطبة

١– مصائب الدنيا وآلامها. ٢– إهلاك الله تعالى للأمم السابقة. ٣– سنة الله تعالى في إنزال العذاب. ٤– انتشار المعاصي والموبقات. ٥– الحكمة من هذه الكوارث. ٦– طغيان النظرة المادية في مثل هذه الحوادث. ٧– آثار الزلزال المدمر. ٨– ضعف الإنسان وعجزه. ٩– وقفات مع زلزال آسيا. ١٠– دعوة للتوبة والرجوع إلى الله تعالى. ١١– حال السلف الصالح في مثل هذه الكوارث. ١٢– سبيل الوقاية من عذاب الله تعالى.

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واخشوا يومًا ترجعون فيه إليه، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، اتقوا الله حق التقوى، واحذروا مكره، فإنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون.

أيها المسلمون، إن في هذه الدنيا مصائب وفتنًا ومحنًا وزلازل مدمّرة وأعاصير مهلكة وفيضانات مفرّقة، آلام تضيق بها النفوس، ومزعجات تورث الخوفَ والجزع، كم ترَى من شاكٍ، وكم تسمع من لوّام، وكم تبصر من مبتلى، تتنوع الابتلاءات وألوان الفتن بين الناس أفرادا ومجتمعات حسب ابتعاد الناس عن المنهج الإلهي، وبحسب قربهم من هذا المنهج وهو التزام كتاب الله وسنة نبيه يكون التخفيف من البلاء والمحنة، والمعصية عندما تكون جماعية يفعلها القاصي والداني في المجتمع المسلم يكون لها أثر مدمر ومخيف لاتساع المساحة التي يظهر فيها شؤم هذا الأثر، فهي تعرّض المجتمع الذي فشت فيه بأسره لغضب الله وانتقامه، وتجعله فاقد المناعة، يهوي ويندثر عند تعرّضه لأدنى هزّة.

لقد قصّ الله علينا في القرآن الكريم خبر كثير من الأمم التي أهلكها بسبب المعاصي الجماعية، وذكّرنا جريمتهم التي استحقوا بها ذلك العقاب مثل قوم عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود:٥٩]، ومثل قوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٢، ٨٣]، ومثل قوم شعيب: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود:٩٤، ٩٥].

ثم يبين الله تعالى سنّته المطّردة في عقوبة المجتمعات التي تفشو فيها المعاصي التي يتواطأ عليها المجتمع ويقرّها أهله، فيقول عز من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]. والعذاب والبأس الذي ينزله الله بمن يتعارفون ويتميّزون بهذه المعاصي والمنكرات ويفتخرون بها ويبذلون الأموال الطائلة في استنباتها وترسيخها بين الناس قد يكون من الكوارث والزلازل والأعاصير والجوائح التي تجعلها نكالا لمن يأتي من بعدهم كما عذب القرون السابقة، وقد يكون غير ذلك من البلاء والفتن التي تسلبهم نعمة الأمن والاستقرار وتضربهم بالخوف والجوع والذلة والمسكنة كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٥٦]، وكما فعل الله بقارون فقال عز من قائل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١]. والإنسان عندما يتصوّر العذاب الذي يأتيه من فوق أو يأتيه من تحت يكون أشدّ وقعا في النفس من تصوّره آتيًا عن يمين أو شمال، فالوهم قد يخيّل للإنسان أنه قد يقدر على دفع العذاب من يمين أو شمال، أمّا العذاب الذي يصبّ عليه من فوق أو يأتيه من تحت

فهو عذاب غامر قاهر، ولا يدبر أمره إلا الله اللطيف الخبير.

أيها المسلمون، لقد فشا في كثير من المجتمعات الربا والزنا، وشربت الخمور والمسكرات، وأدمنت المخدرات، كثر أكل الحرام، وتنوعت الحيل، شهادات باطلة، وأيمان فاجرة، وخصومات ظالمة، ارتفعت أصوات المعازف والمزامير، وفشت رذائل الأخلاق ومستقبح العادات في البنين والبنات، حورب الدين وأهله، وسيم الدعاة والمصلحون أشدّ العذاب والنكال، سخِر منهم واستهزئ بهم، ونال سِفلة القوم الترحيبَ والرفعة، وصدِّروا في المجالس، وأصبح قدوة الشباب الفنّان فلان والمطرب فلان. حين ابتعد الناس عن الطريق المستقيم كثر الكفر والفسوق، وقلّ الشكر وإرجاع الحقوق، كذبٌ وتزوير للحقائق، غيبة ومراوَدة، استبشار بالذنوب، خيانة وخداع، أمر بالمنكر ونهي عن المعروف، إصرار على الذنوب وعدم التوبة، عدم ذكر الله، تبرج وسفور، زنا ولواط، الاشمئزاز من ذكر الله، التجسس، النميمة، منع الخير، الجدال في الله، ترك الصلاة.. إلى غير ذلك من الذنوب والآثام التي تؤذن بعذاب الله وعقابه، وكان حقا على الله أن يعاقب من فعل بعض هذه المنكرات، فكيف بها جميعا؟! ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [النحل:٦١]، وقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥].

فمن فضل الله ورحمته أنه لا يؤاخذ الناس بكل ذنب، ولكن إذا نسوا تذكيرَ الله لهم خوّفهم بالآيات التي تهتزّ لها المشاعر والأبدان، كالزلازل والبراكين وسيلان الأودية بالنيران وما يقع في بعض البلدان من الفيضانات، وما ذاك إلا ليخوّف الله به الإنسان إذا تمادى في الطغيان، ولعذاب الآخرة أكبر، ولأمر الله أعظم، ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٢، ٥٣].

إن الأمة حين تغفل عن سنن الله تغرق في شهواتها وتضل طريقها حتى تقع في مصارع السوء، إنها سنة الله حين تفشو المنكرات وتقوم الحياة على الذنوب والآثام والانحلال الخلقي وفشوّ الدعارة وسلوك مسالك اللهو والترف، حينها ينزل الله العذاب والعقاب، والعذاب يعم الصالح والفاسد كما ورد في الحديث: أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: ((نعم، إذا كثر الخبث)). ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

أيها الإخوة، لقد طغت النظرة المادية على كثير من أبناء هذا العصر، فضعف عندهم الربط بين الأسباب ومسبباتها، ولم يدركوا العلاقة بين الأعمال وآثارها؛ لهذا عندما زلزلت المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عائشة عن سبب هذا فقالت له: كثُرت الذنوب، فقال عمر: والله، لئن عادت فزلزلت لا أساكنكم فيها.

قد يقول قائل ممن يدرس الجيولوجيا: إن سبب هذه الظاهرة الطبيعية هو تقلص القشرة الأرضية وما إلى ذلك، ونحن نقر بهذا التحليل العلمي النظري، ولكن ما وراء ذلك من الأسباب؟ وما السبب في تقلّص القشرة الأرضية وحدوث الزلزال؟ إنها الذنوب والمعاصي.

ولقد ورد في علامات آخر الزمان أنه تكثر الزلازل والخسف، فقال ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل)) رواه مسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يكون في آخر الزمان خسف ومسخ وقذف))، قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: ((نعم، إذا كثر الخبث)) رواه الترمذي وهو حديث صحيح.

أيها الإخوة، لقد سمعنا ما تناقلته وسائل الإعلام المقروءة والمرئية عن الزلزال الذي تعرّضت له ثماني دول في

جنوب شرق آسيا على السواحل البحرية دولة أندونيسيا وجيرانها من الدول خلال هذا الأسبوع، وحسب ما ذكره الجيولوجيون المختصون في علوم الأرض أن هذا الزلزال من أعنف الزلازل في العالم منذ أربعين عام، ما يسمونه: المد البحري.

زلازل مدمرة ربا عدد القتلى على ستين ألف شخص، وكل يوم يزيد القتلى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثواني من الساعة كانت كافية لتدمير كل شيء، منازل أصبح عاليها سافلَها، مساكن بأهلها، ثواني حتى ابتلعتهم البحار واضطربت بمن عليها، فكانت الكارثة وجاءت الأخبار المفجعة المؤلمة.

أكثر من ستين ألف قتيل، والجرحى لا يحصون، آلاف الأحياء جرفتهم أمواج البحار فأغرقتهم، آلاف الجثث لا يعرفها أحد، المقابر الجماعية تفتح لصعوبة دفن كل واحد في قبر، ملايين البشر يبيتون في الشوارع والطرقات خشية من هزة أخرى، فرق الإنقاذ تقف حسيرة عاجزة لا تدري ماذا تصنع.

ونقلت عدسات المصورين صوراً مؤلمة محزنة: هذه أمّ تبكي على ابنها القتيل، وهذه عائلة تحيط بعائلها المسجّى وقد فارق الحياة، وهذان زوجان يقفان على أطلال منزلهما يبكيان وقد صارا بغير مأوى، وهذا طفل يطفح على ماء البحر يراه من حوله لا يقدرون على إنقاذه. هكذا كان، وذهبت ثوان قلائل بجهد عشرات السنين، وأدرك الإنسان بعدها حقيقة حجمه في هذا الكون.

لقد اغترّ الإنسان في هذا العصر بما عنده من العلم والقدرة، وظن أن لن يقدر عليه أحد، وتوهّم أنه سيطر على الأرض وامتلك مقاليدها. غرّه علمه، وغرّته قوته، وغرته سطوته، فأراد الله أن يعلّمه الدرس وأن يبصره بحقيقته، ﴿وَخُلِقَ ٱلإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

الإنسان الذي صنع الكمبيوتر وغزا الفضاء ووصل إلى القمر ووقف على سطحه لم يستطع أن يفعل شيئًا، لم يقدر على منع الزلزال ولا على تخفيف آثاره، ولقد تقاطرت فرق الإنقاذ من أنحاء الأرض بعددها وعتادها فكم روحًا أنقذت؟! وكم حياة حفظت؟! ولقد رآها الراؤون تتنقل بين الأنقاض، تتنصت إلى أنين جريح أو غياث مستغيث، فما تزال تردّد النظر ثم ينقلب إليها البصر خاسئًا وهو حسير. وصدق عليّ رضي الله عنه: (مسكين ابن آدم، تؤلمه البقّة) أي: البعوضة. ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلأَرْضِ وَلاَ فِى ٱلسَّمَاء وَمَا لَكُمْ مّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت:٢٢].

أراد الله أن يبين للعالم أنه مالك الملك، العزيز القهار الجبار، لا تقف قوة أمام قوته، ولا توازي عظمة عظمته، وهل يقدر غير الله أن يأمر الأرض فتهتز فتدك ما عليها؟! لنا ـ يا عباد الله ـ مع هذا الحادث محطات تأمل ومنازل تفكر واعتبار منها:

بيان عجز الإنسان وضعفه وإحاطة قوة الله وقدرته به من كل الجهات: من فوقه، ومن تحته، وفي أرضه وسمائه وهوائه، وكأني بملائكة الموت قد نزلت على سواحل تلك الدول في جنوب شرق آسيا تنتظر الأجل المحتوم والموعد المرسوم، لقبض الأرواح واستيفاء الأعمار، ما أغنت عن الناس أجهزة ولا استعدادات، ولا عمائر أو ثكنات، ولا جند أو حرس، إنما هي لحظات فوقع الحادث الأليم وألمّ بالناس القضاء.

بيانُ عظيمِ بطش الله وقهره وجبروته وشدّته وقوة محاله وعظمته، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]. فإن الله سبحانه عزيز ذو انتقام، إنه سبحانه قوي عزيز، إنه سبحانه فعال لما يريد، وهو على كل شيء قدير، إنه سبحانه شديد المحال، إنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، إنه هو الرزاق ذو القوة المتين.

ولا شك ـ يا عباد الله ـ أنّ هذه عقوبات على ما يرتكبه العباد من الكفر والفساد، وفيها لمن حولهم عبر وعظاتٌ لا يدركها إلا أولو الألباب، وهي تظهر قدرة الله الباهرة، حيث يأذن لهذه الأرض أن تتحرك لبضع ثوان، فينتج عن ذلك هذا الدمار وهذا الهلاك وهذا الرعب. ولقد أكدت الآثار بأن ذلك يكثر في آخر الزمان، حتى لا يكاد يمر الشهر والشهران حتى تسمع بزلزال في موضع من هذه الأرض، جاء في الحديث الذي رواه الإمامان أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، ويتقارب الزمان، وتكثر الزلازل، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج))، قيل: الهرج؟ أي: ما هو؟ قال: ((القتل القتل)).

وروى الترمذي عن أبي هريرة بإسناد فيه مقال قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلةَ فاسقُهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع)). ولقد شهد الواقع لبعض ما أشار إليه هذا الحديث، من ذلك هذه الزلازل المتتابعة التي لا تخفى عواقبها.

عباد الله، إن الله لا يخلق شرًا محضًا، فكم من شرّ في نظر الناس يحمل في طياته خيرًا كثيرًا، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

لقد أخبر النبي ﷺأن الزلازل ستحدث وتكثر حين يكثر الفساد وتظهر الفتن، وستكون من علامات الساعة، فقال ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان)).

وللعلم فهذه الزلازل والآيات بصفة عامة ليست مختصة بأرض معينة، ولا بمكان معين، فالله عندما حذر الناس من الخسف بسبب ذنوبهم لم يحدد جنسيات معينة ولا بلادًا موصوفة، بل خاطب الجميع وقال: ﴿أَءمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلأرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦]، وقال ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيّئَاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥].

اعلموا ـ عباد الله ـ أن من أهمّ ما يلزمنا تجاه هذا الحدث وأمثاله ما يلي:

١- التوبة والرجعة إلى الله سريعًا، ﴿فَفِرُّواْ إِلَى ٱللَّهِ إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠]، من قبل أن يحل بنا ما حل بغيرنا، ولا تأمنوا من مكر الله.

٢- الدعاء والتضرع لتخفيف المصاب وكفّ البلاء ورفع العقوبة وأن يرحم الله عباده ويتوب عليهم.

٣- تسلية أهل المصائب ومواساتهم بالاتصال أو المراسلة وإمدادهم بالمعونات المادية والمعنوية.

فاتقوا الله عباد الله، واعتبروا بما جرى حولكم، فلنتب إلى الله جميعًا، فإن الله هو التواب الرحيم، ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ ٱلآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۞ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۞لّكُلّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٥-٦٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ينزل البلاء برحمته وعدله، ويرفعه إذا شاء بالتوبة والإنابة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وخذوا على أيدي سفهائكم قبل أن يحل بنا ما حل بمن حولنا، ولنعلم جميعًا أن الذي جعل غيرنا عبرة لنا قادر على أن يجعلنا عبرة لغيرنا.

عباد الله، ولنا مع سلفنا الصالح رحمهم الله وقفة مباركة لنتبين كيف كان حالهم في مثل هذه المواقف العظيمة: فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه زلزلت الأرض في عهده فجمع الناس ووعظهم فقال: (لئن عادت لا أساكنكم فيها)، وقال بعض السلف رحمهم الله لما زلزلت الأرض: "إن ربكم يستعتبكم".

ولنعلم أن ما وقع إنما هو من كسب الناس، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، ﴿وَمَا أَصَـٰبَكُمْ مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]. فهل نعتبر يا عباد الله؟! إنّ حالنا لا ينطق بذلك، إننا على كثرة ما نسمع ونقرأ ونشاهد من حوادث مروعة وعقوبات مفزعة لا يزال الكثير منا مصرًّا على طغيانه وفجوره.

أيها المسلمون، إننا والله لنخشى من العقوبة، أليس الله يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِى إِسْرٰءيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَـٰهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩]؟! وجاء في الحديث: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)).

فما الذي أمات الغَيْرة في قلوبنا؟! ما الذي ينجينا من عذاب الله؟! ما الذي يؤمننا من مكر الله؟!

عباد الله، اعلموا أنه لا يقينا من ذلك إلا أن نصلح ما فسد من أحوالنا، نبدأ بأنفسنا ونحملها على الحق، نبدأ بأهلنا وجيراننا ونسائنا وأولادنا، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ولنعلم أن لا صحة للإنكار باللسان مع القدرة على التغيير باليد، ولا صحة للإنكار بالقلب مع القدرة على الإنكار باللسان، ولا يصح الإنكار بالقلب ما لم يتمّ الابتعاد عن العصاة وهجر أماكنهم وعدم مجالستهم، وذلك عند عدم انتفاعهم بالموعظة والنصيحة، قال الله تعالى: ﴿لاَّ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءابَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

عباد الله، ارجعوا إلى دينكم، تعرّفوا على الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، اصدقوا الله يصدقكم، واذكروه يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وأدّوا إليه حقّه يوفّيكم حقكم، فإن الله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وأجود الأجودين.

ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]؟! أولم تسمعوا إلى خبر الله عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:٥٨]؟! ومن أصدق من الله حديثاً؟!

واعلموا ـ يا عباد الله ـ أن عذاب الله إذا حلّ بقوم عمّهم، فهو لا يصيب ناسًا دون آخرين، قال ﷺ: ((إذا أراد الله

بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم)). وسألته عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: ((نعم، إذا ظهر الخبث)).

فاعتبروا يا أولي الأبصار، اعتبروا يا أولي الألباب، ومن لم يتّعظ بالموت فلا واعظ له، واعلموا أن الدنيا دار بلاء وفناء، وأن الآخرة دار جزاء وبقاء، وأن الله تعالى لن يجمع لعبد أمنَين ولا خوفين، فمن خافه في الدنيا أمّنه في الآخرة، ومن أمِنه في الدنيا أخافه في الآخرة. نسأل الله تعالى الأمن التامّ والهداية.

اللهم يا ربنا، يا من خلقتنا ورزقتنا وأحسنت إلينا، يا أمان الخائفين، يا رب العالمين، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم اجعلنا ممن يأخذون صحائف الأعمال باليمين في يوم الزلزال الأعظم، اللهم يا رحمن يا رحيم كن لعبادك المستضعفين في كل مكان، يا ربنا مَن للمستضعفين من ضحايا الزلزال، يا ربنا من لمن ظلوا تحت الأنقاض...

زلزال العقبة

ملخص الخطبة

١– الأرض التي نعيش عليها إحدى نعم الله علينا. ٢– ما يحدث من الزلازل إنما هو تخويف وتأديب للعباد. ٣– دعوة للاعتبار بما يحدث من أحداث وكوارث ومصائب. ٤– وعيد الله للعصاة الذين لا يرعون ولا يتعظون بأحوال غيرهم. ٥– كثرة الزلازل قبيل الساعة. ٦– الماديون يغفلون عن الأسباب القدرية المسببة للزلازل والكوارث. ٧– الذنوب والكبائر هي السبب الحقيقي لهذه ا لكوارث.

الخطبة الأولى

أما بعد: أيها الناس نسأل الله عز وجل، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. أن يحفظ هذه البلاد، وجميع بلاد المسلمين من الزلازل والمحن، وسوء الفتنة ما ظهر منها وما بطن. كما نسأله عز وجل، أن يجعل، ما نرى وما نسمع، عبره لنا.ولغيرنا، ولا يرينا أو يسمعنا أي مكروه في أي بلاد المسلمين.

عباد الله، إن هذه الأرض، التي نعيش عليها. من نعم الله الكبرى علينا، فإن الله سبحانه وتعالى قد مكننا من هذه الأرض، نعيش على ظهرها، وندفن موتانا في باطنها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ كِفَاتاً ۝ أَحْيَاء وَأَمْوٰتاً﴾ [المرسلات:٢٥، ٢٦]، وقال تعالى: ﴿منْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:١٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رّزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]، والآيات في هذا كثيرة.

ومن رحمته جل وعزّ أن أودع فى هذه الأرض كل ما يحتاجه الخلق الذين يعيشون على ظهرها، فبارك فيها وقدر فيها أقواتها.

ثم سبحانه وتعالى جعلها ثابتة مستقرة لا تتحرك وأرساها بالجبال، حتى نتمكن من البناء عليها والعيش على ظهرها، وفي بعض الأحيان، يجعل الله عز وجل هذه الأرض، جنداً من جنوده، فتتحرك وتميد ويحصل الزلازل المدمرة، تخويفاً للعباد، وتأديباً للبعض الآخر، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر.

إننا معاشر الأحبة فى نعمة من الله تامة، أمن في أوطاننا، وصحة في أبداننا ووفرة فى أموالنا، وبصيرة في ديننا فماذا أديتم من شكر الله الواجب عليكم، فإن الله وعد من شكره بالمزيد، وتوعد من كفر بنعمته بالعذاب الشديد ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، إن الله سبحانه وتعالى يري عباده من آياته ليعتبروا ويتوبوا، فالسعيد من تنبه وتاب، والشقي من غفل واستمر على المعاصي ولم ينتفع بالآيات، كم نسمع من الحوادث ونشاهد من العبر، حروب في البلاد المجاورة أتلفت أمماً كثيرة وشردت البقية عن ديارهم، أيتمت أطفالاً وأرملت نساءً، وأفقرت أغنياء وأذلت أعزاء، ولا تزال تتوقد نارها، ويتطاير شرارها على من حولهم، وغير الحروب هناك كوارث ينزلها الله بالناس كالعواصف والأعاصير التى تجتاح الأقاليم والمراكب في البحار، كالفيضانات التي تغرق القرى والزروع، وهناك حوادث السير في البر والبحر والجو والتي ينجم عنها موت الجماعات من الناس فى لحظة واحدة، وهناك الأمراض الفتاكة المستعصية التي تهدد البشر وهناك الزلازل، كل ذلك يخوف الله به عباده، ويريهم بعض قوته وقدرته عليهم، ويعرفهم بضعفهم ويذكرهم بذنوبهم، فهل اعتبرنا؟ هل تذكرنا؟ هل غيرنا من أحوالنا؟ هل تاب المتكاسل العاصى عن الصلاة فحافظ على الجمع والجماعات؟، هل تاب المرابي والمرتشي والذي يغش في المعاملات؟، هل أصلحنا أنفسنا وطهرنا بيوتنا من المفاسد؟ إن شيئاً من هذه الأحوال لم يتغير . إلا من شاء الله بل إن الشر يزيد . وإننا نخشى من العقوبة المهلكة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن الله تعالى يقول: ﴿كَدَأْبِ ءالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۞ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيّراً نّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٢، ٥٣].

إن الله سبحانه توعد الذين لا يتعظون بالمصائب ولا تؤثر فيهم النوازل فيتوبون من ذنوبهم، توعدهم بأن يستدرجهم بالنعم ثم يأخذها على غرة ويقطع دابرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُمْ بِٱلْبَأْسَاء وَٱلضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواّ يَعْمَلُونَ ۞فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلّ شَىْء حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَـٰهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٢–٤٥]، عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج)) ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلّ شَىْء حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]، رواه الإمام أحمد.

أيها المسلمون، إنه والله يخشى علينا اليوم الوقوع فى مثل هذا، معاصينا تزيد، ونعم الله تتكاثر علينا، فاتقوا الله عباد الله واحذروا نقمة الله التي حلت بمن قبلكم ومن حولكم أن تحل بكم، الدنيا لدينا معمورة، والمساجد مهجورة، ليس لدينا تقصير في الدنيا، لكن التقصير في الدين.

عباد الله، وقبل ثلاث سنوات حصل زلزال في مصر وها نحن نسمع الآن عن زلزال فى تبوك وما حولها، لقد كثر وقوع الزلازل المروعة التى تدمر العمران وتهلك الإنسان، وقد تتابع ذلك.

في سنين متقاربة، حدث زلزال عظيم فى الجزائر، ثم أعقبه زلزال عظيم فى إيطاليا، ثم أعقبه زلزال عظيم فى اليمن، ثم أعقبه زلزال عظيم فى المكسيك وها نحن اليوم نسمع عن زلزال مصر وقد دُمر فى هذه الزلازل مدن بأكملها وهلك فيها ألوف من البشر وشرد فيها مئات الألوف من مساكنهم. مما تسمعون أخباره المروعة ويشاهد الكثير منكم صوره المفزعة تعرض على شاشة التلفاز، وهذه الزلازل لا شك أنها عقوبات على ما يرتكبه العباد من الكفر والمعاصي

والمخالفات. كما قال بعض السلف لما زلزلت الأرض، إن ربكم يستعتبكم.

ولما وقع زلزال بالمدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قام فيهم خطيباً ووعظهم وقال: (لئن عادت لا أساكنكم فيها).

لعلم عمر بأن ما حصل هذا إلا بسبب ذنوب الناس، وأن هذا تهديد وعقوبة من الله عز وجل، إن في الزلازل عبراً وعظات لأولي الألباب، ودلالة على قدرة الله الباهرة، حيث يأذن لهذه الأرض أن تتحرك بضع ثوان أو دقائق فينتج عن ذلك هذا الدمار وهذا الهلاك وهذا الرعب، لعل الناس يتوبون إلى ربهم ويستغفرون من ذنوبهم. لأن هذا ما حدث إلا بسبب كفرهم ومعاصيهم. ويكثر هذا في آخر الزمان، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويتقارب الزمان وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج)). قيل الهرج؟ أي ما هو يا رسول الله؟ قال: ((القتل القتل)) وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع)) بيّن صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث أنه عندما تحدث هذه الجرائم فى آخر الزمان فإنها ستقع عليهم العقوبات المتتابعة ومنها الزلازل؟ وقد رأيتم مصداق ذلك بما تكرر من حدوث هذه الزلازل المروعة، وقد يقول بعض المتحذلقين من الجغرافيين والعلمانيين: هذه الزلازل ظواهر طبيعية. لها أسباب معروفة. لا علاقة بها بأفعال الناس ومعاصيهم كما يجرى ذلك على ألسنة بعض الصحفيين والإعلاميين. حتى صار الناس لا يخافون عند حدوثها، ولا يعتبرون بها. كما يقول أشباههم من قبل عندما تصيبهم الكوارث والنكبات: ﴿قَدْ مَسَّ ءابَاءنَا ٱلضَّرَّاء وَٱلسَّرَّاء﴾ [الأعراف:٩٥]، فيعتبرون ذلك حالة طبيعية وليست عقوبات لهم فيستمرون على غيهم وبغيهم، ولا يتوبون من ذنوبهم، والذي نقوله لهؤلاء المتحذلقين إن الكتاب والسنة يدلان على أن هذه الزلازل كغيرها من الكوارث إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم، وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدرة من الله سبحانه على العباد لذنوبهم، فهو مسبب الأسباب وخالق السبب والمسبب ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلّ شَىْء وَهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَىْء وَكِيلٌ ۝لَّهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوٰت وَٱلأرْضِ﴾ [الزمر:٦٢، ٦٣].

فإذا أراد الله شيئاً أوجد سببه ورتب عليه نتيجته. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦]، فاتقوا الله عباد الله واعتبروا بما يجري حولكم وبينكم وتوبوا إلى ربكم وتذكروا قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْت أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُصَرّفُ ٱلآيَٰت لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝لّكُلّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٥–٦٧].

بارك الله لي ولكم فى القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله وتوبوا إليه من ذنوبكم قبل أن يحل بكم ما حل بغيركم من العقوبات.نعم إن ما يحدث في الأرض اليوم من الزلازل المدمرة، والأعاصير القاصفة والحروب الطاحنة، والمجاعات المهلكة، والأمراض الفتاكة وحوادث المراكب البرية والبحرية والجوية التي يذهب فيها الأعداد الكبيرة من البشر، وتسلط قطاع الطرق ومختطفي الطائرات، وسطو اللصوص، كل ذلك يحدث بسبب الذنوب والمعاصي كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]، وإنه يحدث منا من الذنوب والمعاصي مالا يحصى، ومنه ما هو كفر كترك الصلوات المفروضة، وما هو من الكبائر الموبقة كأكل الربا، والرشوة، وتبرج النساء وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعل الفواحش وغير ذلك مما نتخوف منه نزول العقوبة صباحاً ومساءً، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيّئَاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل:٤٥، ٤٦].

تركت الصلوات، وأهملت الواجبات، ضعف الخوف من الله في قلوب الناس، تغيرت أخلاقنا، سلوكنا، بيوتنا أصبحت شبهه. هل اعتبرنا يا عباد الله بما يحدث، هل غيرنا من حالنا من سيئ إلى حسن، إننا على كثرة ما نسمع ونقرأ أو نرى بأعيننا من الحوادث المروعة والعقوبات الشديدة لا يزال الكثير منا مصراً على معاصيه من أكل الحرام وترك الصلاة وهجر المساجد وفعل المنكرات حتى أصبح كثير من البيوت أوكاراً للفسقة والعصاة والتاركين للصلاة. ولا ينكر عليهم صاحب البيت ولا جيرانه ولا من يعلم بحالهم. وفي الحديث: ((إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)).

ترون الشوارع والبيوت ملأى بالرجال. وترون المساجد وقت الصلاة فارغة منهم، لا يؤمها إلا القليل وفي فتور وكسل.والذي يصلي منهم لا ينكر على من لا يصلي من أهل بيته وجيرانه ومن يمر بهم في طريقه إلى المسجد، ما الذي أمات الغيرة في قلوب الناس إنه ضعف الإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)).

عباد الله، تخيلوا الفجيعة التي حصلت بما سمعنا من زلزال العقبة وكم من الناس قد تأثر. كل هذا بسبب زلزال بسيط، في بقعة محددة من الأرض.

فماذا يحصل لو وقع الزلازل في الأرض كلها تخيلوا أن زلزالاً بالأرض وسيحصل هذا، هل عملتم. وأخذتم حسابكم واحتياطاتكم للزلزال الأكبر الذى سيضرب الأرض كلها، لا العقبة وحدها ولا الجزيرة وحدها، ولا قارة آسيا أو إفريقيا، لكنه زلزال عظيم، سيصيب جميع الأرض.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلاْرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلارْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة].

ماذا عملنا، أو ماذا سنعمل لذلك الزلزال. الزلزال الأكبر، الذي يكشف بعده كل شيء، والذي سينفضح بعده كل مجرم، عملت كذا في يوم كذا، وعملت كذا، وعملت كذا في يوم كذا، فنسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته.

ثم اعلموا رحمكم الله، وتذكروا ما يحل بالناس من العقوبات في الدنيا، وإذا كان شديداً فهو أخف من عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلأدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وتوبوا من ذنوبكم وقوموا على أولادكم وأهليكم، وأنقذوا أنفسكم وأنقذوهم من عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله...